

العنوان: مؤلفون موسوعيون جزائريون : محمد أبو راس أنموذجاً
المصدر: التراث العربي
الناشر: اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي: روقاب، جميلة
المجلد/العدد: ع142,143
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2016
الشهر: خريف
الصفحات: 187 - 197
رقم MD: 859669
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: IslamicInfo, AraBase
مواضيع: أبو رأس الجربي، محمد بن أحمد بن ناصر، ت. 1239 هـ.
رابط: https://search.mandumah.com/Record/859669

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مؤلفون موسوعيّون جزائريّون

(محمد أبو راس أنموذجاً)

أ. جميلة روقاب*

الملخص:

شهد التاريخ أواخر العهد العثماني ميلاد لفيف من الأدباء والعلماء والمفكرين، الذين سجّلوا أسماءهم بأحرف من ذهب؛ لأنّهم جعلوا من الجزائر بلداً ينافس ويضاهي مدناً أخرى في بلاد المغرب الأقصى ومصر والشام والعراق في حركة النشر والتأليف بالرغم من بساطة الوسائل والإمكانات المتوفرة آنذاك. وفي معسكر التي كانت إحدى حواضر العلم والثقافة والأدب، وبلد العلماء والمفكرين؛ ذاع صيت الشيخ العلامة: "محمد أبو راس الناصر الجزائري" رحمه الله(ت ١٢٣٨هـ)، الذي خلّف وراءه تراثاً أدبيّاً غزيراً ومتنوّعاً، لا يضاهيه فيه من الجزائريين أحد حسب رأي المحققين لبعض أعماله، وفي هذه المقالة سعيٌ لتسليط الضوء على حياته وكشف جانب عن تلك الحقائق المتصلة بآثار متناثرة، ومخطوطات عدّة نادرة الوجود هي اليوم بحاجة ماسّة لأن يهتمّ بها المختصون في التراث الأدبي الجزائري القديم؛ وذلك بغية جردها وتحقيقها وإعادة النظر فيها عن طريق التوسع في البحث والتحليل والدراسة من أجل نشرها والاستفادة منها.

* أستاذة محاضرة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

مقدمة :

يعدُّ التراث العربي الأصيل خزان ممتلكات الأمة الذي ولدته قرائح السلف، ومستودع جميع ما تملكه من علوم ومعارف ومصطلحات، فأمة بلا تراث هي بحق أمة بلا ذات؛ ذلك لأنّ التراث العربي هو بمثابة الغائب الحاضر الذي يصل الذات بماضيها، "ويحدد موقعها ووقعها، وواقعها"[١]، ومن ثمّ استشراف آفاق مستقبلها، فلا يمكن لأي أحد- له معرفة بتاريخ الأمة- أن ينكر فضل ما تركه أجدادنا من كنوز تراثية بفضلها تمت حركة التحوّل التاريخي للحضارة من الشرق نحو الغرب، كما لا يخفى أنّ المنظومات الشعرية العربية والإسلامية تعدّ جزءاً قيماً من هذه الكنوز التراثية، فالجزائر وحدها غنية بالتراث النحوي واللغوي؛ كيف لا وقد أنجبت بلادنا على مرّ العصور عدّة أسماء سطع نجمها في شتّى مجالات العلم والمعرفة؛ ففي القرن السادس الهجري برزت نخبة من العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم إسهامات بارزة في مختلف العلوم لغوية كانت، أم شرعية. لم يعط الأتراك لأمر الثقافة ما تستحقه من عناية واهتمام — وذلك إبان العهد العثماني بالجزائر، وسائر الدول المستعمرة - لا لشيء إلا لأنّ الأسبان قضوا على العروبة والإسلام في الأندلس، وشمال إفريقيا، ولهذا غلب على عهدهم طابع الجفاف الفكري، وطالما لحظت هذه الظاهرة من قبل في جميع الأقطار التي سيطروا عليها؛ إلاّ أنّه لا يمكن إنكار حقيقة مدن مثل: بجاية وتلمسان وقسنطينة ومازونة... لم تزل محافظة على ما ورثته من التراث الفكري، فنبغ فيها رجال خلفوا لنا علوما وأدبا[٢]، ومع هذا شهد التاريخ أواخر ذلك العهد ميلاد لفيف من الأدباء والعلماء والمفكرين، الذين سجّلوا أسماءهم بأحرف من ذهب؛ لأنّهم جعلوا من الجزائر بلداً ينافس ويضاهي مدناً أخرى في بلاد المغرب الأقصى ومصر والشام والعراق في حركة النشر والتأليف بالرغم من بساطة الوسائل والإمكانات المتوفرة آنذاك. وفي معسكر التي كانت إحدى حواضر العلم والثقافة والأدب، وبلد العلماء والمفكرين؛ ذاع صيت الشيخ العلامة: "محمد أبو راس الناصر الجزائري" رحمه الله(ت ١٢٣٨هـ)، الذي خلّف وراءه تراثاً أدبيّاً غزيراً ومتنوّعاً، لا يضاهيه فيه من الجزائريين أحد حسب رأي المحققين لبعض أعماله.

نبذة عن حياته وبيئته :

هو العلاّمة المحقق محمد بن أحمد بن عبد القادر بن النّاصر الراشدي المعسكري المدعو بـ: أبي راس الناصري المولود سنة(١١٦٥هـ - ١٧٥٧م)، قرب جبل كرسوط بالغرب الجزائري، المعروف في زمانه باسم(الحافظ)[٣]؛ وذلك لقوّة الحافظة عنده التي مكنته من حفظ القرآن الكريم وما شاء من العلوم والمسائل الفقهيّة، حتّى صار واسع

---

[١] الشاهد البوشيخي، مقترحات في منهجية الاستفادة من كتب التراث في وضع المصطلحات، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، المجلد٧٥، ج٢/ م٢، رجب ١٤٢١هـ- تشرين الأوّل (أكتوبر) ٢٠٠٠م، ص: ٩٦٢.

[٢] ينظر: محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، وزارة الثقافة الجزائرية، د ط، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص: ٢١٨.

[٣] ينظر: أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، دار موفم للنشر، ط: ١، الجزائر، ١٩٩١م، ، ج: ٢، ص: ١٦٧.

العلم والمعرفة، ومتفنّنا في علوم شتّى، هذا و" قد غلب عليه الفقه، والتاريخ، واللغة، والأدب، والتفسير، والعقائد، والقراءات، والشعر، فلا غرابة أن يكون مؤلفاً موسوعيّاً"[١]. لقد قيل في وصفه، بأنّه كان "متوسط القامة، نحيف الجسم، كبير الرأس، ولعلّ كنيته(أبو راس) قد لصقت به لذلك"[٢].

وفاته:

توفي أبو راس الناصري رحمه الله وقد تجاوز التسعين، وصلّى عليه صلاة الجنازة ألف وخمسمئة نفس بتحرير من حضر، وجلّهم كانوا من حملة القرآن الكريم وعلماء وأشراف، ليدفن بعدها بمعسكر على شاطئ النهر الذي يفصل بين البلد وقرية بابا علي[٣].

شيوخه:

من أبرز الأسماء التي تتلمذ على يدها أبو راس الناصري بعد عودته من العاصمة إلى معسكر الشيخ "عبد القادر المشرفي"، ذلك الذي اشتهر بالعلم والأخبار والتاريخ، فلازمه وأخذ عنه الكثير إلى أن تزوّج، وانتقل إلى الرّيف متولياً القضاء، وبعد سنتين عاد إلى معسكر، واستقرّ بها ستّاً وثلاثين سنة، واشتغل بالتدريس والفتوى، حيث عرف بصوته الجهوريّ وبالحفظ، وبمجلسه العلميّ الذي بلغ عدد مستمعيه آنذاك – كما قيل- سبعمئة وثمانين مستمعاً، حيث رشّحه شيخه عبد القادر المشرفي ليكون خليفته في التدريس.

ومن مشايخه أيضاً: "أحمد بن عمار" مفتي مدينة الجزائر، و"محمد مرتضى الزبيدي" الذي خصّه بكتاب سمّاه: " السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى"[٤].

رحلاته:

لقد عرف العرب منذ زمن سحيق أدب الرحلات، وتركوا فيه آثاراً خالدة، فأصبحت فنّاً من الفنون الشائعة في جلّ بلدان العالم ومعرفة ما فيها من عادات وأخلاق، إذ يقتضي التأليف فيها ثقافة واسعة تشمل معارف وعلوماً متعلقة بالتاريخ، والجغرافية، والفلسفة، والاجتماع، والأدب، والمعرفة بعامة حيث تفرض آليات الكتابة في النصوص الرحليّة الأناقة في تخيّر الألفاظ، وصياغة العبارات، وتنسيق الفصول، لأنّ الإثارة في الرحلة متأتية من جمالية الوصف للواقع، وبلاغة السرد الفني للمغامرة الإنسانية، والعواطف المحركة لجموع أحاسيس البشر، كما

---

[١] محمد أبو راس الناصري الجزائري، فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته،" حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تحقيق وتعليق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، ١٩٩٠م، ص:٦.

[٢] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، د ط، الجزائر، ٢٠٠٧م، ج:٢، ص:٣٧٧.

[٣] ينظر: أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج:٢، ص:١٦٨.

[٤] ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: ٣٧٩.

أنّها نابعة أيضاً من طبيعة الشخصيات التي تبرزها بحيث تبدو للقارئ متوافقة في كثير من نزعاتها، ومتفاوتة في جوانب أخرى. وعليه تنقل أبو راس بين ربوع الجزائر، كما زار وأقام بعدّة بلدان عربية طلباً للعلم والمعرفة، ومنها نذكر: تونس، الشام، مصر، فلسطين (غزّة والقدس)، العراق، والحجاز التي حجّ إليها حجّتين الأولى كانت سنة ١٢٠٤هـ، أمّا حجّته الثانية فكانت سنة ١٢٢٦هـ، كما زار المغرب وخاصّة مدينتي فاس وتطوان. تعدّ رحلة أبي راس الناصري من أهمّ الرحلات الجزائريّة، التي اعتنت بتسجيل الأخبار التاريخية للبلدان العربية، وفرصة للتفقه في المسائل الدينيّة والعلميّة المتنوّعة، ويدلّ على هذا المضمون عنوان الرحلة الذي وسمه في مؤلفه الكبير: "فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته"، وكتابه الوجيز: "حلّتي ونحلتي في تعداد رحلتي".

كما تتميّز رحلة أبي راس الناصري بمنهج دقيق، اعتنى فيه بتقسيم المادّة إلى خمسة أبواب؛ كان أوّلها متعلقا بحياة الرجل وسيرته الذاتية، إذ سمّى هذا الباب بـ: "في ابتداء أمري"، أمّا الباب الثاني فتحدث فيه عن شيوخه ومعلّميه، وهو الذي سمّاه: "في ذكر أشياخي النافضين عنّي قشب أوساخي شريعة وحقيقة وقرآناً وطريقة"، في حين خصّ الباب الثالث بالإشارة إلى رحلته، ما جاء تحت عنوان: "رحلتي إلى المشرق والمغرب وغيرهما ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام"، أمّا فيما يخصّ الباب الرابع، فكان متصلاً بالمواضيع التي نوقشت في مجالس العلم والأدب، ولقاء العلماء، وقد سمّاه أبو راس: "في الأسئلة وما يتعلّق بها"؛ ففي هذا الباب المتعلّق بلقائه العلماء ومساءلته لهم، نلفيه يقول عند نزوله بمصر: "لقيت بها العلماء الكبار، أهل العلم والأدب والأخبار، الإمام الأرضي، شيخنا السيد مرتضى، ففاوضته في فنون فوجدته كما لي فيه من الظنون، ورويت عنه أوائل الصحيحين" ورسالة "القشيري" و"مختصر العين"، و"مختصر الكنز الوافي"، وأجازني بالباقي"[1]، وعند زيارته مكة المكرمة اقتصر حديثه على العلم والعلماء، فقال: "فاجتمعت بعلمائها وفقهائها، كالعلامة الدارك، السيد عبد المالك، وكنت قرأت عليه نبذة من الحديث، ونبذة من "الكنز"، وشيئاً من التفسير في "سورة النور" وأجازني بالباقي"[2]، وقد اعترف بفضل السابقين له في كتابة الرحلة نحو: ابن رشيد السبتي صاحب "ملء العيبة في طول الغيبة إلى مكة وطيبة"، وكذلك الشيخ العياشي مؤلف "ماء الموائد، وأحمد الناصر الدرعي مؤلف" الرحلة الناصريّة؛ فضلا عن ابن مرزوق الخطيب وغيرهم[3]. وعن الباب الخامس والأخير، فهو في ذكر الكتب التي ألفها مع وصفها بإيجاز، وعنوانه: العسجد والإبريز في عدّة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز[4]؛ إنّه أهمّ ما تركه الرجل المفكر من آثار أدبية ولغوية علمية.

---

(١) محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، ص: ١١٥

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٨

(٣) ينظر: سميرة إنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص: ٧٢

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٧١- ٧٢.

مؤلفاته :

اعترف أبو راس الناصري الجزائري في رحلته أنه ألّف ثلاثة وستين كتاباً بين صغير وكبير، وقسّمها إلى ثلاثة عشر قسماً مبتدئاً بالقرآن ومنتهياً بالشعر(١).

- **جوانب من ثقافته :**

أ- أبو راس مفسّراً :

تعددت مصادر التفسير عند أبي راس، فكانت عوامل قوّة وإثراء وتميّز لتفسيره، وأهمّ مصادر التفسير المأثورة والحديث النبويّ والفقه والقراءات والمصادر النحويّة واللغويّة والشعر العربي، وقد كانت الشواهد من تلك المصادر كثيرة. ويمكن تحديد أهمّ تلك المؤلفات كما جاء ذكرها وفق الباب الخامس من المصدر بحسب الموضوعات التالية :

أوّلا : القرآن الكريم : له :

١- "مجمع البحرين، ومطلع البدرين، بفتح الجليل، للعبد الذّليل، في التّيسير إلى علم التّفسير"، في ثلاثة أسفار.

٢- تقييد على الخرّاز و"الدّرر اللّوامع" و"الطّراز".

ثانيا : الحديث : ألف :

١- "الآيات البيِّنات، في شرح دلائل الخيرات"

٢- "مفاتيح الجنّة وأسناها، في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها".

٣- "السّيف المنتضى، فيما رويت بأسانيد الشّيخ مرتضى

ثالثا : الفقه : وضع :

١- "درّة عقد الحواشي، على جيد شرحي الزّرقاني والخراشي" في ستّة أسفار.

٢- "الأحكام الجوازل، في نُبذ من النّوازل".

٣- "نظم عجيب في فروع، قليل نصّها مع كثرة الوقوع".

٤- "الكوكب الدّرّي، في الرّدّ بالجدري".

٥- "النّبذة المنيفة، في ترتيب فقه أبي حنيفة".

٦- "المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك"

٧- "شرح المحلّى"(٢).

---

(١) ينظر: أبو راس الناصري الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: ١٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨٠.

رابعا: المذاهب: ترك لنا:

١- "رحمة الأمّة في اختلاف الأئمّة".

٢- "تشنيف الأسماع، في مسائل الإجماع".

٣- "جزيل المواهب، في اختلاف الأربعة المذاهب".

٤- "قاصي الوهاد، في مقدِّمة الاجتهاد".

خامسا: التّوحيد والتّصوّف:

١- "الزّهر الأكم، في شرح الحكم"(١).

٢- "الحاوي لنبذ من التّوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى".

٣- "كفاية المعتقد، ونكاية المنتقد" على شرح الكبرى للشّيخ السّنوسي.

٤- "شرح العقد النّفيس، في ذكر الأعيان من أولياء غريس.

٥- "التّشوّف إلى مذهب التّصوّف".

وقد استعان أبو راس في تفسيره القرآن والأحاديث النبويّة الشريفة برواية أهل الاختصاص، ومنهم على سبيل المثال: الشيخ المهدي، الشيخ العربي، والفقيه الأصفى الشيخ مصطفى ومحشي الزرقاني محمد بن الحسن البناني، كما نجده أحيانا يذكر أسباب النزول وغيرها من المسائل الفقهيّة دون أن يذكر أصحاب الرواية، ويشير إليها بقوله: (قيل)أو(روي)؛ كأنّه يعوّل بذلك على حافظته القويّة، وربّما يكون قد نسي رجال تلك الروايات.

ب- **أبو راس لغوياً**: وله

١- "ضياء القابوس على كتاب القاموس".

٢- "رفيع الأثمان في لغة الولائم الثِّمان".

ج- **أبو راس نحويّاً:**

أسهم أبو راس الناصري الجزائري في البحوث اللغوية، واعتمد في تفسيره على اللغة، فكان كثيراً ما يوجّه الآيات توجيهاً لغويّاً، ومن مؤلفاته في اللغة؛ وبخاصة في علم النحو:

١- "الدرّة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة".

٢- حاشية على المكودي على الألفية؛ وهي التي تعرف باسم: "النكت الوفية، بشرح المكودي على الألفية"(٢).

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١٨٢.

(٢) ينظر: بشير ضيف بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مراجعة وتقديم: عثمان بدري، د ط، الجزائر، ٢٠٠٢م، ج: ٣، ص: ٩٥.

٣- "عماد الزّهّاد، في إعراب: كلا شيء وجئت بلا زاد".

٤- "نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة"[١].

د- أبو راس بلاغيّاً:

"نيل الأماني على مختصر سعد الدين التّفتازاني".

هـ- أبو راس عروضياً:

"شرح مشكاة الأنوار، التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسَسْه نار".

و- أبو راس مؤرخاً:

- "زهرة الشّماريخ في علم التاريخ
- "المنى والسّول، من أوّل الخليقة إلى بعثة الرّسول".
- "درّ السّحابة، فيمن دخل المغرب من الصّحابة
- "درّ الشّقاوة في حروب درقاوة".
- "المعالم الدّالّة على الفرق الضّالّة".
- "الوسائل إلى معرفة القبائل".
- "الحلل السّندسية فيما جرى بالعدوة الأندلسية".
- "روضة السّلوان المؤلّفة بمرسى تيطوان.
- "ذيل القرطاس في ملوك بني وطّاس".
- "مروج الذّهب في نبذة من النّسب، ومن انتمى إلى الشّرف وذهب".
- "الخبر المعلوم في كلّ من اخترع نوعاً من أنواع العلوم".
- "تاريخ جربة".
- "عجائب الأسفار، ولطائف الأخبار"، والمسمّى أيضاً "غريب الأخبار عمّا كان في وهران والأندلس مع الكفار

ز- أبو راس فيلسوفاً:

- "القول المسلّم في شرح السّلم"، وهو شرح على سلم الأخضري.

---

[١] أبو راس الناصري الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: ١٨٠.

ح- أبو راس أديباً:

- شرح المقامات:

النّزهة الأميرية في شرح المقامات الحريرية" الشرح الأصغر، أو هو الشرح الثاني الأكبر الموسوم بـ: . الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية" كما سمّاها أبو راس في" فتح الإله[1].

٣- الشعر عند أبي راس الجزائري:

اعتنى أبو راس الجزائري بالشعر عناية كبيرة، ويتجلى هذا من خلال شرحه لجملة من القصائد العربية القديمة، وهي في جموعها تعبّر عن ذوق الأديب ونفسه المحبّة لفن الشعر بمختلف أغراضه، ومن بين تلك القصائد نذكر:

- "البشائر والإسعاد، في شرح بانت سعاد"؛ للشاعر كعب بن زهير، وهو شرح وضعه أبو راس وقصد به الوفادة على سلطان المغرب أبو ربيع سليمان، مع العلم أنّ هذه القصيدة قد عرفت عدّة شروحات سبقت شرح أبي راس، منها بعض الشروح نحت منحى صوفيّاً[2].

٢- "نيل الأرب في شرح لامية العرب".

٣- "كل الصّيد في جوف الفرا".

٤- "إزالة الوجم عن قصيدة لامية العجم".

- "الوصيد في شرح سلوانية الصّيد".
- "الدرّة الأنيقة في شرح العقيقة.
- "طراز شرح المرداسي لقصيدة المنداسي".
- "الحلّة السّعدية في شرح القصيدة السّعيدية".
- "الجُمان في شرح قصيدة أبي عثمان".
- "نظم الأديب الحسيب، الجامع بين المدح والنّسيب والتّشبيب
- "الرِّياض المرضية في شرح الغوثية".
- "لبّ أفياخي في عدّة أشياخي".
- "حلّتي ونحلتي في تعدّد رحلتي".

---

[1] المصدر نفسه، ص: ١٨١.

[2] ينظر: مختار حبّار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، دراسة بيبليوغرافيا، منشورات مختبر الخطاب الأدبي، جامعة وهران، د ط، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص: ٦٠.

٤- سيميائية العنوان في بعض مؤلفات أبي راس الناصري الجزائري:

إنّ العنوان لغة كما ورد في تضاعيف المعاجم اللغوية القديمة؛ مأخوذ من "العنوانُ والعِنوانُ سمة الكتاب، وعنونة، وعِنونةً وعِنونًا وعنّاه، كلاهما: وسَمَهُ بالعنوان، وقيل أيضاً: والعُنيانُ سِمة الكتاب وعنونه، وقال آخر: وفي جبهته عنوان من كثرة السجود أي الأثر"[1]. أمّا اصطلاحاً؛ فهو" مقطع لغويّ أقلّ من الجملة يمثل نصّاً أو عملاً فنيّاً، ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين: في السياق، وخارج السياق ذلك أنّ العنوان السياقي يكون وحدة مع العمل على المستوى السيميائي، ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامّة"[2]، ومع أنّ التعريف يركز على أن العنوان يكون أقلّ من الجملة؛ إلاّ أنّ هناك عناوين قد تتجاوز الجملة – على غرار مصنّفات أبي راس الناصري الجزائري أنموذجاً - وبهذا يصبح كلّ عنوان سمة للكتاب أو النصّ، ووسماً له وعلامة عليه؛ فالعنوان يشكلّ بحقّ حالة جذب وإغراء للقارئ (المتلقي) كي يدخله في عالم القراءة والتلقي والتأويل. بالرجوع لعناوين بعض مؤلفات الشيخ أبي راس نجده مثلا في مجال الأدب وفنونه يكتب مؤلفات عديدة متباينة ويلفت الانتباه أنّها عناوين طويلة، مقارنة مع بعض عناوين مصنّفاته النحوية واللغوية وغيرها من الكتب السابقة الأخرى، حيث لا يضاهيه في الطول سوى ما خطّه عن سيرته الذاتية بالمخطوط الموسوم: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربّي ونعمته". فبعد سلسلة العناوين المفردة مثل (الطراز)، ثمّ المكوّنة من كلمتين أي الجمل البسيطة نحو: (تاريخ جربة، الدرّة اليتيمة)، أتت مرحلة النفس الطويل والجمل المركبة مع "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربّي ونعمته"، ويضاف إلى ذلك كون العنوان مقرونا بالسجع، وذلك ما نراه تقريباً في كلّ مؤلفاته وأعماله إن صحّ القول، وسنحاول هاهنا دراسة أشهر هذه العناوين دراسة سيميائية عن طريق تفكيك مفرداتها من ناحية التراكيب، ومن ناحية الدلالة المعجميّة، ثمّ من حيث التداول. ويبدو من خلال الاطلاع على هذه المؤلفات، أنّ الكاتب الموسوعي المبدع كان يتفنن في رصف مفردات اللغة في قالب بديع، يشدّ ذهن القارئ ويحيل إلى الموضوع مباشرة، ويتجلّى ذلك بوضوح في اعتماده الجملة الاسمية التي مبتدؤها مضاف وخبرها شبه جملة من جارّ ومجرور، مثلما هو الحال في العناوين التالية: حلّتي، طراز، إزالة، كلّ الصيد، نظم، لبّ أفياخي، وشأنه في ذلك شأن اللغويين القدامى الذين اعتنوا بالزخرفة اللفظيّة في عناوين كتبهم، ومن شروح وحواش للمتون والدواوين القديمة، ولاسيما في فترات عصر الضعف على غرار المؤلفات الجزائرية: إظهار المودة في شرح قصيدة البردة لابن مرزوق الحفيد، والروضة الموشية في شعراء المهدية، وبلغة المشتاق في ذكر أيّام العشاق لابن رشيق، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري، فهو بذلك لا يشذّ عن معاصريه وعن سابقيه في اعتماد العناوين المطوّلة المسجوعة التي شاعت بصورة واسعة في

---

[1] أبو الحسن علي بن سيدة، المخصص، تحقيق: عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، ط:١، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ج:١، ص:١٢٣.

[2] ينظر: جون ديبوا، معجم اللسانيات، ترجمة: جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط:١، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص:٣١٥.

مؤلفات القرون السابقة، ومن ذلك مؤلفات السيوطي وابن خلدون والقلقشندي وغيرهم. من مؤلفات أبي راس الأدبية التي نزيد ذكر بعضها عمّا سبقت الإشارة إليه ما يلي:

- مروج الذهب في نبذة النسب.
- من إلى الشرف انتمى وذهب.
- ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس.
- درّ السحابة فيمن دخل المغرب الأقصى من الصحابة.
- الزمردة الورديّة في الملوك السعديّة.
- الخير المعلوم في كلّ من اخترع نوعا من أنواع العلوم.
- شرح الشمقمقية.
- كتاب التأسيس، ودرء الشقاوة، وحاشية على السعد، وحاشية على الشرح الكبير للخراشي، وشرح الحلل السندسية.
- الحاوي الجامع بين التوحيد والتصوّف والفتاوى[١]. وممّا لاشكّ فيه أنّ معظم المصنّفات والكتب التي خلّفها الرجل هي في حقيقة الأمر عبارة عن شروح لمتون، وربّما نلفيه يكرّر شرح المتن الواحد في مرات عدّة، على غرار: النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريرية، والحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية، فضلا عن شرح عقيقة المنداسي التي بلغ شرحها سبعة شروح؛ إذ علّق أبو راس على ذلك قائلا: " ألا ترى أنّ الشيخ زروق شرح حجم ابن عطاء الله بضعة وعشرين شرحاً؟"[٢]

مؤلفات أبي راس الناصري، على كثرتها وتنوّع مشاربها المعرفي، مازالت مخطوطة في مجملها، وممّا يلحظ على أبي راس – رحمه الله- أنّه كان كثيراً ما يغيّر من أسماء مؤلفاته وينقحها، بتعديل في الصياغة أحياناً أو بالزيادة والحذف أحياناً أخرى...، وأنّه كان كثيراً ما يشرع في تحرير عمل من الأعمال، ثمّ يتركه ولا يتمّ إنجازه، وقد أشار هو بنفسه إلى بعضها في فتح الإله[٣]. لم تعد مؤلفات أبي راس متداولة بكثرة اليوم؛ والسبب راجع إلى أنّ معظمها لازال مفقوداً ومستتراً عنّا، أو أنّه متوفّر في مكتبات بعض الخواص مثل أئمة المساجد والزوايا، أو لدى بعض الأفراد ممن يحتكرون العلم لأنفسهم، كما أنّ البعض منها موجود في رفوف المكتبة البلدية لمدينة معسكر – والتي لقبت فيما مضى بمصر الصغرى - وبعضها المكتبة الملكية بالرباط بحكم أنّه زار المغرب وأقام بها هناك، والغريب

[١] ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، ص:١٤٦.

[٢] أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص:١٢١.

[٣] مختار حبّار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، دراسة بيبليوغرافيا، ص:٥٩.

في الأمر أن بعضاً من مؤلفات الرجل قد ترجمت ونشرت بالفرنسية لكنها لم تنشر إلى الآن كتبه بالعربية، باستثناء "الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة"، وهو كتاب نشر مع ترجمة فرنسية في تونس سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م، علما أنّ هناك شخصاً آخر يحمل نفس الاسم وهو المدعو أيضاً: محمد بوراس وقيل عنه أنّه من أهل جربة التونسية، وأنّه كان حيّاً سنة ١٢٢٢ه؛ وله مؤلف بعنوان "مؤنس الأحبّة في أخبار جربة"، وقد خلط أحد الباحثين المتأخرين فيه بين محمد بوراس الناصري الجزائري، ومحمد بوراس بن ناصر الدرغي[1].

خاتمة:

صفوة القول أنّ الشيخ أبو راس الناصري الجزائري خلّف وراءه مؤلفات عديدة في فروع من المعرفة المختلفة من فقه، ولغة، وأدب، وغير ذلك والتي كان في مجملها شروح على متون أو شروح على شروح، لازالت من المخطوطات الجزائرية التي تعدّ كنزاً تراثيّاً أصيلاً، مع العلم أنّ الأعمال التي وضعها أبوراس يمكن دراستها اليوم من عدّة مناحٍ؛ لعلّ أهمّها ما يخصّ منظوماته الشعرية، على غرار "الحلل السندسية" وذلك من جهة الأسلوب الأدبي المميّز الذي أفرغ فيه أبوراس طاقته البديعيّة، ومن جهة أخرى ما تعلّق بالشروح المتنوّعة وبطريقته التي كانت معتادة على عهده، كمنظومة إبراهيم بن عبد الجبّار الفجيجي في "شرح الروضة السلوانية".

ومن بين المآخذ التي أخذت عن أبي راس، أنّه لم يكن - في بعض الأحيان - يكمل ما بدأه من نظم أو شرح أو تأليف نحو: الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية؛ أو أنّه كثيراً ما يسمّي العمل الواحد أو الكتاب الواحد أسماء مختلفة، أو أنّه يعدد الشروح بأسماء مختلفة أيضا لمتن واحد من المتون، كما هو الشأن بالنسبة إلى "شرح مقامات الحريري". لقد ترك الرجل- رحمه الله- آثارا متناثرة، ومخطوطات عدّة نادرة الوجود هي اليوم بحاجة ماسّة لأن يهتمّ بها المختصون في التراث الأدبي الجزائري القديم؛ وذلك بغية جردها وتحقيقها وإعادة النظر فيها عن طريق التوسع في البحث والتحليل والدراسة من أجل نشرها والاستفادة منها.

❑❑

[1] ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: ٣٨٠.